

نقد الربوبيين للكتاب المقدس: موقف توماس باين من العهد القديم أنموذجاً

أ.د. أحمد عبد العوايشة**

محمد يوسف أغلو*

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٢/٠٦/١٤ م

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢٢/٠٤/١٧ م

ملخص

يحتل نقد الكتاب المقدس في الفكر الغربي مكانة مهمة. إذ ازداد الاهتمام به مع القرن السابع عشر على يد المفكرين الغربيين، ويعد مذهب الربوبية من أهمها. تهدف هذه الدراسة إلى بيان موقف توماس باين الربوبي من العهد القديم خلال البحث في منهجه النقدي وتحليل استخدام نقده الأدبي ونقده التاريخي. وتوصلت الدراسة إلى أنه تابع ابن عزرا وسبينوزا في نقده العهد القديم. ويُعتقد أنه يرى كل الكتب المنزلة ليست خالية من الأخطاء. ويعتمد نقده للوحي والنبوة على معتقداته خلافاً للدليل أو المرجع العلمي أحياناً. **الكلمات الدالة:** توماس باين، نقد الكتاب المقدس، الكنيسة، المذهب الربوبي.

Deists Criticism of the Bible: Thomas Paine's Position on the Old Testament as a Model

Abstract

Criticism of the Bible in Western thought occupies an important place, and the interest in it increased in the seventeenth century by Western thinkers, where deists are among the most important of these thinkers. This study aims to clarify Thomas Paine's position on the Old Testament by researching his critical approach and analyzing the use of his literary and historical criticism. The study concluded that Thomas Paine followed Ibn Ezra and Spinoza in his criticism of the Old Testament. It is believed that he sees all Scriptures are not mistake-free. His criticism of revelation and prophecy is based on his beliefs, sometimes contrary to scientific evidence or reference.

Key Words: Thomas Paine, Bible Criticism, The Church, Deism.

* باحث – y.mahitup@gmail.com

** أستاذ، قسم أصول الدين، الجامعة الأردنية.

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن ظاهرة نقد الكتاب المقدس ذات قيمة في الغرب؛ حيث إن الظاهرة انتشرت مع عصر التنوير وحددت قواعده في الأوساط العلمية للغرب. ومن المعروف أن المذهب الربوبي جزء لا يتجزأ من عصر التنوير. وظهر المذهب الربوبي (Deism) في القرن السابع عشر على يد هربرت نيشر بري (1648م). ويضم تحته أسماء مختلفة، كمذهب التأليه الطبيعي، التأليهية، الدين الطبيعي. على الرغم من الاختلافات في أسمائه فإن تعريفاته كلها تجمع على بعض أفكار محدودة. حيث إن المذهب الربوبي يؤمن بوجود الله وخلق الكون، وينكر الأديان والكتب المنزلة، ويعتمد على العقل المجرد في فهم تدبير الله للكون والإنسان في مقابل الوحي. وليس من الممكن إنكار إسهامه في عصر التنوير وجهوده في نقد الكتاب المقدس. ويعد الربوبي توماس باين من أهم الربوبيين في هذا الصدد. وتهدف هذه الدراسة إلى سرد الأسباب الأساسية لظهور نقد العهد القديم وتعميم ذلك على كل الكتب المنزلة وإلى قراءة نقد باين وتحليل مناهجه من خلال قراءة كتابه "عصر العقل"، ومقارنة نقده بقواعد النقد للكتاب المقدس عند الغرب.

مشكلة الدراسة.

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ١- ما أسباب نشأة نقد الكتاب المقدس في العالم الغربي؟
- ٢- ما أهمية كتاب عصر العقل في دراسات نقد الكتاب المقدس؟
- ٣- ما موقف توماس باين من العهد القديم، ومن أي جهة ردّ العهد القديم؟

أهمية الدراسة.

يعد توماس باين من أهم رجال المذهب الربوبي في زمانه وحتى في يومنا الحاضر. وقد اشتغل بنقد الكتاب المقدس وأثر في من بعده. ومع ذلك فإن هذا الأمر لم ينتشر على يد باين. وتركز هذه الدراسة على تأثير باين في الربوبيين وتأثره بالفكر الغربي وتهدف إلى تحديد مكانه بين نقاد الكتاب المقدس.

- ١- بيان تاريخ نقد العهد القديم في الفكر الغربي وعند الربوبيين.
- ٢- إدراك موقف توماس باين من العهد القديم.
- ٣- تحليل ونقد أفكاره ومنهجه في نقد العهد القديم.

أهداف الدراسة.

يهدف هذا البحث لتحقيق جملة من الأهداف، يمكن جمعها في النقاط الآتية:

- ١- تعريف أفكار توماس باين من خلال دراسة كتابه.
- ٢- معرفة أفكاره عن العهد القديم.
- ٣- تحليل آرائه في العهد القديم ونقده من جهة العقل والبحوث العلمية.

منهج البحث.

هذه الدراسة تتبع المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي، حيث إنها تعتمد على كتاب باين "عصر العقل" ونقده العهد الجديد وتحليل أفكاره عنه.

الدراسات السابقة.

لم نصادف بحثاً علمياً خاصاً بهذا الموضوع خلال دراستنا. مع ذلك ثمة كثير من البحوث والدراسات مختصة بنقد الكتاب المقدس عند الفكر الغربي والفكر الإسلامي. حيث إن أريج إبراهيم عبد الرحمن الحوامدة ناقشت رسالة ماجستير تحت اسم "حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها" في جامعة العلوم الإسلامية العالمية. وسردت أسباب نشأة نقد العهد القديم وتأثير العلماء المسلمين في ظهور هذه الحركة وأنواع النقد، ولكن لم تذكر نقد الربوبيين وكذا دور توماس باين.

خطة البحث.

تم تقسيم البحث إلى مبحثين، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: موقف باين من الوحي والنبوة.

المطلب الأول: مفهومه الجديد "الوحي الحقيقي".

المطلب الثاني: موقفه من الأنبياء.

المبحث الثاني: موقفه من العهد القديم.

المطلب الأول: نقده الأدبي.

المطلب الثاني: نقده التاريخي.

خاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، والتوصيات.

التمهيد:

تعد ظاهرة نقد الكتب المقدسة من أهم الظواهر في تاريخ الأديان. ونستطيع أن نجد نفس الظاهرة للكتاب المقدس في الفكر الغربي أيضاً. لكن هذه الظاهرة لم تظهر دفعة واحدة ونجد التطور في هذه الظاهرة في القرنين السادس والسابع عشر في العالم الغربي إلى حد كبير.

ومن المفروض أن هذه الظاهرة نشأت على أيدي المسلمين وحددوا مناهج النقد وقواعده. وفي الفترة يتصادف بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر. ومن المهم أن التوراة والإنجيل في أصلهما منزلان من الله في عقيدة المسلمين. ولذلك فالقرآن الكريم يذكر التوراة والإنجيل في كثير من المرات، والله ﷻ يأمر المؤمنين بالإيمان بهذين الكتابين. فمن الطبيعي أن يكون اهتمام المسلمين بهما كبيراً لأنهما جزءان من أصل عقيدتهم^(١).

وحدث هذا الاهتمام في وقت مبكر مع دخول النصارى في المجتمع الإسلامي. وتناول العلماء المسلمون مقالات النصارى عن الكتاب المقدس. ومن الواجب أن نذكر في هذا الصدد بعضهم مثل ابن حزم وكتابه "الفصل بين الملل والأهواء والنحل" والقرافي في "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة". ويمكن القول إن اتجاه علماء المسلمين إلى الكتاب المقدس يعد من أهم الأهداف التي تثبت نبوة سيدنا محمد ﷺ^(٢). وسبب نكر هذه الأسماء قريبا من المجتمع الغربي. فابن حزم عاش في الأندلس ومن المعروف أن أوروبا أخذت كثيرا من الأشياء فيما يتعلق بالسياسة والحضارة من الأندلس كما تأثروا بالمسلمين في هذا الموضوع أيضاً. ونجد أمثاله عند بعض الأشخاص الذين كانوا نصارى وبعد ذلك أسلموا. ومثال على ذلك نصر بن يحيى المتطبب والذي ألف كتابا تحت اسم "النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية". وقد نقد الكتاب المقدس وتطرق إلى التناقضات فيه^(٣).

وعلى الرغم من هذه الاتجاهات بين النصارى واليهود أصبحت مؤثرة هذه الأشكال محدودة. ولكن إن التطورات الدينية والعلمية غيرت وجهة نظر النصارى وأوروبا بشكل عام إلى الكتاب المقدس. ففي القرن السابع عشر عاش المجتمع الغربي تغيرات جذرية في الفلسفة والفكر على يد بيكون وديكارت. وترسخت فكرة الشك في معظم أذهان المفكرين وتوافقت قوة الإنسان في الحصول على المعلومات عن الكنيسة أو المصادر الإلهية. وعلاوة على ذلك فإن مكان الإله تراجع في المجتمع الأوروبي وبدأ الإنسان يثق بنفسه أكثر مما سبق^(٤). والجدير بالذكر أن سبينوزا كان رجلاً استثنائياً في ذلك الوقت. حيث إنه يعد من أوائل من حددوا أسس نقد العهد القديم. والذي اعتمد في نقده على التاريخ. واقترح بعض المبادئ في النقد واقتصرها على ثلاث. فالأول إتقان العبرانية والثاني المعرفة في ما وراء تدوين متن العهد القديم والثالث وصول المتن إلينا بلغته الأصلية.^(٥) ومن المهم أنه ركز على ما ركز ابن حزم في نقده. والجدير بالذكر أن باين اتبعهما أحياناً وضرب نفس الأمثال كثيرا من المرات. فقد تطرق إلى أخطاء الحسابات الرياضية في العهد القديم ويرى من المستحيل أن يكون يشوع كاتب سفر يشوع وبعض الأخطاء في تسمية المدن التي سردت في العهد القديم^(٦).

مع كل هذا ظهرت أهم حركة نقد في تاريخ الغرب مع عصر النهضة وعصر التنوير. يحتوي اللذان ضمنهما كثيراً من الأسس والأشكال والمناهج. والمقصود بالأسس المشاكل في تدوين الكتاب المقدس وتقنيته وفي لغاته. وأشكال نقد الكتاب

المقدس تتأتى من النقد الأعلى، حيث إنه يتناول المراجع الأولية والأصلية للكتاب المقدس والنقد الأدنى؛ إذ إنه يجمع في نفسه كل الطرق التي تُستخدم في نقد الكتاب المقدس وتحليله^(٧). وأما المناهج أو الطرق فيندرج تحتها النقد الأدبي والنقد التاريخي والنقد العلمي. والنقد الأدبي يركز على المفردات المتنوعة والأسلوب في إفادة غرضه والتعبير بالمقارنة بين النصوص القديمة للكتاب المقدس من جهة الأدب^(٨). والنقد التاريخي يهتم بإظهار حقيقة الحوادث التي سُردت في الكتاب المقدس. والذي يكثر لظروف المجتمع في وقت حادث ما وعلاوة على ذلك يستفيد من الأركيولوجي والاكتشافات العلمية^(٩). والذي ينقسم إلى قسمين أساسيين هما: النقد الخارجي والنقد الداخلي. فإن النقد الخارجي يركز على الوثائق والنصوص ويسمى بأسماء مختلفة أيضًا نقد التحصيل ونقد الصحة وينقسم إلى نقد التصحيح ونقد المصدر. والنقد الداخلي أو النقد الصدق يهتم بمضمون النصوص ومحتواها. ويندرج قسمان تحت هذا النقد هما: نقد التفسير ونقد الدقة والأمانة^(١٠). والجدير بالذكر أن هذا المنهج يُطبق على العهد القديم أحيانًا لأنه يحتوي عدة مسائل تاريخية وبينها وقت طويل^(١١). وأما النقد العلمي فيشتغل بمناسبة التطورات العلمية بينها وبين الأشياء فيما يتعلق بالعلم في الكتاب المقدس والتناقضات العلمية بينهما، مثل "خلق العالم ومراحله"، "ظهور الإنسان على الأرض" و"رواية الطوفان"^(١٢).

وأما المذهب الربوبي فيعد من أهم حركات نقد الكتاب المقدس في الغرب. والربوبي توماس باين ألف كتابا تحت اسم "عصر العقل" حيث يُعد من أهم المؤلفات عند المذهب الربوبي. وبالرجوع إلى مضمون الكتاب نجد أنه عبارة عن قسمين. فقد كتب الجزء الأول في سنة ١٧٩٤ في باريس ولكنه لم يكمل كتابه؛ لأنه عاش كثيرا من المشاكل السياسية ومكث في السجن لمدة وكافح مرضا خطيرا، على الرغم من هذا فقد أكمل الجزء الثاني في سنة ١٧٩٥م^(١٣). إن الجزء الأول يشتمل على بيان اعتقاد المؤلف في الدين وهدف تأليف الكتاب وأفكار توماس باين عن عدة مسائل مثل: "شخصية عيسى عليه السلام"، "الأسس المسيحية"، "مقارنة النصرانية مع الدين الطبيعي"، "الوحي الحقيقي". وأما الجزء الثاني في الكتاب فمحصور في تحليله العهد القديم والعهد الجديد.

المبحث الأول:

موقف باين من الوحي والنبوة.

إن مسألة الوحي والنبوة من أهم المسائل التي يتطرق المذهب الربوبي إليها، والجدير بالذكر نقد الربوبيين لهما تغير مع الزمان. فقد نقد مؤسس المذهب الربوبي هربرت تشير بري (١٦٤٨) الوحي والنبوة بهدف إزالة الخرافات من النصرانية^(١٤). ومن أجل ذلك فهو ينظر إلى الكتاب المقدس وعيسى عليه السلام نظرة احترام، وتوقف ذلك مع باين. حيث معه تحول هذا الحال إلى هجومات شديدة على كل الأديان. ويمكن القول: إن باين يحتل مكانة غاية في الأهمية عند الربوبيين وخاصة عند المذهب الربوبي المعاصر، لأننا لا نصادف بعد باين رجلا مثل هربرت الذي ينظر إلى النصرانية بإجلال. ومن ما سبق ندرك هنا أن آراء المذهب الربوبي المعاصر حول الأديان مع موقف باين من الوحي والنبوة لا يتماشى مع نظرة هربرت، ويرى توماس أن كل دين أو مؤسسة دينية أنشئت من طرف شخصيات تعتقد أن لديها واجبا خاصا، وهذا ما

ينطبق على موسى ﷺ عند اليهود وعيسى ﷺ عند النصارى ومحمد صلى الله عليه وسلم عند المسلمين. وهذا يعني أنه لا يوجد طريق إلى الله من غيرهم. وكل منهم لديه كتاب منزل من الله ومع ذلك فإن كلا منهم يكفر بمعتقد الآخر^(١٥). وبعد تمهيد قصير فقد تناول كلمة الوحي، ويقول: إن الوحي شيء يطبق على الدين يعني ما أرسله الله إلى الناس مباشرة. والجدير بالذكر أن بعض الربوبيين (Deists) يهاجمون مفهوم الوحي من كل حذب وصوب، حيث إنهم يحللونه من جهة اللغة وكيف جرى في الكتب المقدسة^(١٦). وتوماس باين واحد منهم. ونستطيع أن نرى أنه يتناول مفهوم الوحي بشكل غير معتاد. وبينما يقبل وجود الوحي كمفهوم إلا أنه يقول: إن الوحي الحقيقي يعرف بالكون. وليس من الممكن تغيير هذا الوحي-الكون- من طرف آخر. مثل لغات الناس؛ لأنها محلية ومتغيرة. وعلاوة على ذلك يمكننا القول: إن باين يرى أن لغات الناس محلية ومتغيرة دائماً. وعلاوة على ذلك فإن هذه اللغات لا تعد علم اليقين عند كل الناس وعليه فإنه لا يستطيع أن يفهم أن الله ﷻ قد أرسل رسولاً بكتاب وبلغه معينة والذي يكون مرشداً ومبشراً لكل البشر. ويرى أن من يؤمن بهذه الفكرة جاهل لا يعلم حدود العالم أبداً. وهو يعتقد أن اللغة ليست آلة واحدة للوصول إلى الهدف. والترجمة من لغة إلى اللغات الأخرى لا تكون سليمة من جهة المعنى واللفظ. ولذلك فأصح لغة في العالم موجودة وهي الكون في نظره. ومن الممكن أن يفهم كل الناس هذه اللغة بسهولة. وهذه اللغة متنوعة وعالمية تتكلم مع الناس بلغات مختلفة. إضافة إلى ذلك لا أحد يستطيع أن يزيها، ومع ذلك يستطيع أن يقرأها كل الناس ويفهمها، وهذا اللغة تنادي الناس في كل أرجاء العالم. ومن أجل ذلك يجب على الناس الاتباع والاستماع لها. وبذلك يدرك الإنسان الإله^(١٧).

نستطيع أن نرى في أفكار توماس باين وجهة نظر ثابتة؛ لأنه يعتقد أن الوحي محدود دائماً في أمر إرشاد الناس؛ لأنه يعتقد باين لو قبلنا أنه على الحق لكان واجباً على من يتأمل في الكون أن يدرك الإله ويؤمن به، ومع ذلك ليس من الممكن القول: إن باين على حق في فكره؛ لأنه ليس واقع في العالم. وأنه يرى أن الترجمة من لغة إلى لغة أخرى تفسد المعنى الأصلي. يعني أن الترجمة لا تستطيع عكس المعنى تماماً. غني عن البيان بعض الأشياء في اللغة مثل البلاغة لن تفهم بسهولة. ومع ذلك نحن نرى من يبحر في اللغة وهو ليس صاحب اللغة أصلاً يفهمها ويترجمها. ولكن المهم أن كثيراً من الأشياء في اللغة من الممكن أن تترجم إلى اللغات الأخرى. ولو ما كان هكذا كيف تتعامل الشعوب بعضها مع بعض. وحتى المسائل العقدية تفهم باللغة الأخرى بسهولة؛ لأنه إذا كانت عقيدة سليمة تكون لغتها واضحة ومفهومة عند الناس. مثال على ذلك أننا نترجم معنى الآية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] إلى أي لغة يفهم الناس مضمون هذه الآية. والجدير بالذكر أننا نعتقد أن الكون من آيات الله، ولكن لا جدال أن كل من يفكر الكون ويتأمل فيه لا يؤمن بالله. ولذا يمكن القول إن الإنسان يفتقر إلى الوحي أيضاً.

إن الربوبيين يعتقدون أن الله قادر على كل شيء^(١٨)، لذا هو يرسل إلى من يشاء، مع ذلك هذا الوحي وحي خاص لمن هو مرسل إليه، الوحي محدود بالشخص الأول، وليس من الممكن أنه يكون وحيًا من دونه، بل هو يعد من باب الإشاعة للناس الآخرين. وبعد ذكر تحليله في الوحي يقول باين: "إنني لست مجبراً على الإيمان بمن يدعي أنه مرسل إليه؛ لأن الوحي لم يرسل إلي وأنا لا أعرف حقيقته". وكل مضمون الوحي عبارة عن مبادئ أخلاقية أساسية أصلاً، ومن الممكن لإنسان عادي

يستطيع أن يدرك بعقله ولا حاجة إلى الوحي أصلاً^(١٩).

مما تقدم يتضح لنا أن باين يحدد "مفهوم الوحي" نفسه. والذي لا يعتمد في تحليله على إسناد أو دليل علمي. علاوة على ذلك أنه بينما يؤمن بأن الله قادر على كل شيء يحدد قدرة الله تعالى كما فعل أغلب الربوبيون. حيث إن من يرسل الوحي إلى الناس يستطيع أن ينادي الناس برؤيتهم، ومن الممكن القول. ونحن نعتقد إذا أصبح رأيه فاسداً في الوحي من الممكن أن يكون ذا قيم كبيرة، وكيف يريد باين أن لا يفهم ويتعلمها، وإذا ثبت الوحي الصحيح ومن الله أيضاً كيف من الممكن أن باين لا يعتقد به، وكل هذا يشير إلينا أن أفكار توماس ليست خالية من التناقض.

و يرى باين أن المسلمين يعتقدون أن القرآن كتاب مرسل من الجنة عبر الملك وأنه لا يستطيع أن يؤمن به بسبب عدم رؤيته الملك مباشرةً. لأنه لم ير الملك، وهو لا يرى المعجزة في ولادة عيسى لأن هذه الحادثة تعتمد على كلام بعض الناس، ولا يوجد عليها دليل ثابت. وهو لا يعتقد بها، والجدير بالذكر أنه يدعي أن اليهود الموحدين لم يؤمنوا بها أصلاً، ويرى باين أن كل ما ذكر في العهد الجديد من باب الاعتقاد أخذت من الأساطير الميثولوجي^(٢٠).

وحين ندرس ادعاءه الأول في هذا القسم نجد أن باين يهمل كثيراً من الأمور التي تعد من نفس الباب، ولا يعتمد باين على ما لم يره ولكن إننا ندري كل ما هو موجود في التاريخ والذي لم نره ولكن نفترض وجوديته اعتماداً على النصوص والوثائق. على أساس بعض القواعد العلمية، علاوة على ذلك إن الربوبيين يضعون بعض الأسس في معتقداتهم ولكن لا نعرف من أين أخذوها، مثل الكون أقوى دليل بالمقارنة مع الوحي لإثبات وجود الله تعالى، أو الوحي محدود بمن يسمع أول شخص، يفهم أن كل هذا لا يعتمد على دليل علمي.

وأن باين يتحدث عن إيمان اليهود مثلما يعتقد اليهود. حيث نرى إذا المقصود من الموحدين الذين يؤمنون بدينهم هم يؤمنون بالمعجزة والوحي أصلاً؛ لأنه ظهرت كثير من المعجزات على يد سيدنا موسى ﷺ. ومن الممكن إيمانهم بولادة عيسى ﷺ دون أب.

كما أنه ينظر إلى من يؤمن بالرسول والذي يرى نفسه مرسلًا من الله إلى الناس أنه كاذب. وهو يقول إن هذا الوحي إذا أنزل عليه فليس واجب على الناس الإيمان به؛ لأن هذا خاص به فق، لأن الوحي يمكن استخدامه على يد الناس لمنفعتهم^(٢١). ونجد أنه لا يحتمل أن من يرى نفسه مرسل من الله إلى الناس يمكن أن يكون صادقاً بل أنه كاذب دائماً. إذا كان عندنا شيان متساويان في هذا الأمر يجب أن يكون دليل خارجي من أجل أن نفضله على الآخر، ولكن هذا ليس موجوداً وإن ادعاؤه يعد ادعاء فقط. والجدير بالذكر أن أغلب الربوبيين يرى شخصية عيسى ﷺ إيجابية^(٢٢). ومع ذلك يرون أن من يدعي أنه نبي كاذب، ومن المعروف أن عيسى ﷺ أعلن أنه نبي، وهذا يجعل القارئ يخلص إلى أن أفكاره لا تخلو من التناقضات.

ويعتقد باين أن الوحي يدرس لنا الأفكار الضالة والشاذة ولا يدرّسنا الأشياء المفيدة، وأجزاء الكتاب المقدس التي تتحدث عن الأخلاق ليست من أصل الكتاب يمكننا أن نجد هذه المبادئ الأخلاقية المشتركة في كل الأديان والكتب المقدسة، وهو يضرب مثلاً في هذا الصدد حيث ﴿أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا من يسئ إليكم من لطمك على خدك الأيمن، فحوّل له

الآخر [متى، ٥:٣٩] ويرى باين أن هذه العبارة تقتل صبر الإنسان وتجعله كلبًا؛ لأن حب العدو ليس من الأخلاق الحقيقية، ويسرد أن المذهب الربوبي ليس هكذا، بل مفهوم الأخلاق عنده متطابق بمفهوم الأخلاق عند الله^(٢٣). والجدير بالذكر يرى باين أن القصة التي سردت في الكتاب المقدس غير أخلاقية تمامًا وتحتوي الظلم والقتل^(٢٤). ونستطيع أن نصادف في أفكار باين فكرة عن الأخلاق التي تعتمد على العقل تمامًا، ولذلك يمكن القول إنه يفكر بالأخلاق من جهة واحدة، وهذا ليس مطابقًا للواقع؛ لأن الإنسان ليس عبارة عن الخير والفضل، ووجهة نظر باين أن الأخلاق ليست خالية من النقصان، ومع ذلك فإننا ندري أن الإنسان يميل إلى الشر والخير بسبب طبيعته، علاوة على ذلك فإن المذهب الربوبي يجبر على الناس الاختيار بين طرفين إما أن يكون ذا أخلاق أو متدين، ولكن كيف نهمل الاحتمال حيث إن الإنسان أن يكون ذا أخلاق ومتدين في الوقت نفسه^(٢٥).

المطلب الأول: مفهومه الجديد "الوحي الحقيقي".

كما ذكرنا سابقًا أنه يعتقد بوجود الوحي أصلاً، مع ذلك فإن ما يحلله باين مختلف عن المعتاد ويرى أن الوحي الحقيقي هو الكون ولا أحد يستطيع أن يغير لغته، ويخاطب الله الناس بهذه اللغة، وهذه اللغة عالمية بالمقارنة مع لغات الناس؛ لأنها من الممكن تغييرها ولا تكفي لشرح العلم العالمي، ويضرب باين المثال بسيدنا عيسى عليه السلام في هذا الموضوع، إذ إنه مرسل بلغة القوم، ولكن في الوقت نفسه يبشر كل الناس في أرجاء العالم، ولكنه لم يستطع هذا؛ لأنه لم يعرف اللغات الأخرى إلا العبرانية، وكانت مئات اللغات في زمانه في العالم، ومن الممكن أن يخطر على البال أن الترجمة حل لهذه المشكلة، ولكن باين لم يقبل هذا؛ لأن الترجمة ليست قادرة على إيصال الغاية في المعنى بسبب النقصان في طبيعتها، ويرى أن عدم وجود المطبعة في ذلك الوقت فإن مقالات عيسى عليه السلام لم تصل إلى كل الناس^(٢٦). وتجدر الإشارة إلى نقطة مهمة هي أن مثل هذه المقارنة عند باين تعد من باب المفارقة التاريخية.

مع أن باين لم يضرب مثلًا عن تغيير القرآن الكريم، لكنه يعتقد أن كل كتاب منزل أخذ نصيبه من التغيرات^(٢٧). ونجد أن كلامه عن الكتاب المقدس ثابت تاريخيًا، ولكن حين نبحث تاريخ جمع القرآن الكريم نجد اختلافات كثيرة بينه وبين جمع التوراة والإنجيل، كما يُعرف أن القرآن الكريم كان ينزل منجمًا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أوكل كتابة الوحي إلى بعض الأشخاص من أصحابه، علاوة على ذلك، حفظ كثير من الأشخاص من أصحابه القرآن الكريم، ويمكن القول: إن الاختلافات كان في الكتاب المقدس عن الوحي عند الحفاظ والكتاب تتصادف إليه عبر التاريخ، ومن الثابت أن المسلمين اهتموا بهذا الأمر في كل أجيالهم واشتغل كثير منهم بحفظ القرآن الكريم وكتابته^(٢٨).

حين نعود إلى نقده الآخر نجد تناقضات بينه وبين الوقائع التاريخية؛ لأن النبي الكريم عندما أرسل إلى قومه جذب الأنظار إليه بسبب مضمون دعوته، وهذا لا ينحصر بقومه بل يميل كثير من الناس من خارج قومه إليه، ونستطيع أن نجده عند كثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعين، إذ إن نبينا كان له أصحاب من خارج وطنه، مثل سلمان الفارسي، والجدير بالذكر أن سلمان الفارسي سمع اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خلال زيارته إلى الروم^(٢٩). وهذا يشير إلينا أن خبر

بعثة محمد ﷺ وصل إلى الروم، ربما يعتقد باين أن الاتصال بين الدول ليس واسعاً وسريعاً في زمان الأنبياء بالمقارنة مع زمانه، ولكن نعرف أن الاتصال بين الدول من طريق التجارة خاصة كان قوياً، ولما هاجر بعض الأشخاص من أصحاب النبي ﷺ إلى الحبشة كان الملك النجاشي معروفاً عند قريش، وكان بينهما علاقة، ولذلك بعثت قريش إلى الملك النجاشي عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص^(٣٠). والنجاشي كان يعرفهم عن كثب، وهذا يشير إلينا أن الاتصال بين الدول كان قوياً في العالم القديم، علاوة على ذلك أن أصحاب النبي وحواريي عيسى ﷺ نشروا دينهم الإسلام وتوجهه الناس إليهم، وأصبح هذا الاتصال بينهم بلغتهم وتأثيرهم ليس محدوداً بهم بل أكثر مما يتوقع، علاوة على ذلك من المؤكد أن رسول الله ﷺ أرسل رسائل إلى الملوك الذين يحكمون الدول التي تقع جوار مكة والمدينة مثل الرسالة إلى النجاشي وإلى قيصر ملك الروم وكسرى ملك الفرس، وهذا يشير إلى أن كل الاتصال أصبح باللغة ودعوة رسول الله تعتمد على الوحي، إذاً إن فحوى الوحي يفهم باللغة الأخرى^(٣١).

علاوة على ذلك فإن باين يرى أن لغة الكون لها عدة مستويات متنوعة جداً. ولذلك فهي تجمع كل الأفكار والمفاهيم، وهذه اللغة لا تتغير في أي مكان، ولا حاجة إلى نشرها وطبعتها، وتخاطب كل الناس، والإنسان لا يستطيع أن يعي قدرة هذه اللغة إلى أي حد تصل. وإذا أراد الإنسان أن يدرك الإله من الواجب عليه البحث في لغة الكون^(٣٢)، وحين نعود إلى كلام باين نجد فكره ليس قوياً ولا شاملاً لكل الناس؛ لأن ليس من الممكن أن كل الناس يقدرون على فهم لغة الكون، ولذلك يمكن القول إنهم يفتقرون إلى الرسول الذي يعلمه الحقيقة، علاوة على ذلك أن لغات الإنسان مستخدمة بينهم وتطورت مع الزمان، والإنسان يشرح كل ما يفكر بلغته، وكيف من الممكن أن تكون اللغة ناقصة في هذا الحد، بالإضافة إلى ذلك كل الأديان السماوية تدعو الناس إلى النظر في الكون، حيث قال الله تعالى في كتابه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] وأخيراً نريد أن نذكر التناقضات في كلام باين، حيث إنه يهمل احتمال أن الكتاب المقدس كان كلام الله ولكن بعد ذلك حرّف، والذي يعتقد باين هو احتمال واحد وهو أن الكتاب المقدس قد حرّف تاريخياً^(٣٣).

المطاب الثاني: موقفه من الأنبياء.

ومفهوم النبوة من أبرز المسائل التي ينتقدها المذهب الربوبي؛ حيث يعتقد أن الإنسان ليس بحاجة إلى النبوة للوصول إلى الحقيقة؛ لأنه صاحب العقل والحكمة ويستطيع إدراك الحقيقة بهما. ونجد نفس الفكرة عند توماس باين. ويرى أيضاً أن مفهوم النبوة كان يستخدم بمعنى الشعر في الكتاب المقدس ولكن مع مرور الزمان كسب معنى خاصاً، وعلاوة على ذلك يعتقد أن كلمة النبي تستخدم بمعنى عازف، ويضرب الأمثلة من الكتاب المقدس مثل: {... تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناي وعود وهم يتنبأون} [صموئيل الأول، ١٠: ٥] ويدعي باين أن مفهوم النبي متعلق بالشعر والموسيقى في الكتاب المقدس؛ لأنه يطلق على من يخبر عن المستقبل ويتحدث عن الأشياء غير المعروفة عند الناس مثل "الكاهن". ولكن بعد مرور الزمان مضمون الكاهن دخل في مضمون النبي، وبالتالي فإن باين انتقد كهانة النبي؛ حيث إنه يخبر الأخبار التي

ستحدث في وقت قريب مثل الولادة ونجاح العلاقة الزوجية أو فشلها، ولكن هذا يعني التحجيم في نظر باين^(٣٤).

ويؤمن باين بأن هناك نقطة مشتركة عند كل الأنبياء، إذ إنه نبي لمن يؤمن به ومعارض لمن يعارضه، ويرى التشابهات بينهم وبين السياسيين والشعراء المعاصرين، ويضرب المثال من الكتاب المقدس لتقوية رأيه حيث لما انقسم اليهود إلى قسمين أصبح نبي خاص لكل قوم، وكان يهتم كل نبي بشيء آخر حتى يقتل الأنبياء بعضهم بعضاً^(٣٥).

ويمكننا القول إنه لا يرى التناقضات في كلامه أو يهملها؛ لأنه يدعي أن الكتاب المقدس ليس كتاباً منزلاً من الله تعالى، ويعتقد أن الناس هم الذين ألفوا هذا الكتاب وهويتهم مجهولة، إذن كيف من الممكن أن تشمل مفهوم النبي الذي في هذا الكتاب على كل الكتب السماوية، وحين ننقل إلى انتقاداته الأخرى فإنه يعتقد التشابه بين الأنبياء وبين السياسيين والشعراء المعاصرين، وهذا يعد من باب المفارقة التاريخية ومقبول عند كل الباحثين أن هذا المنهج من أكبر الأخطاء في البحث العلمي في يومنا، ونجد نفس الشيء في تحليل باين عن تسمية مدينة "دان" في الكتاب المقدس وهو يقارنها مع تسمية المدن في زمانه^(٣٦). وفي الواقع أن الأنبياء يدعون الناس إلى نفس الطريق ولا يكذبون بعضهم بعضاً.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ۗ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦] كل هذه الآيات تدل على أن الأنبياء في الإسلام يصدقون بعضهم بعضاً.

ونستطيع أن نجد في كلام باين حكماً غير دقيق؛ لأن من الثابت علمياً أن الكتاب المقدس قد تحرف^(٣٧)، وأُخرجت عدة مفاهيم في الكتاب المقدس عن معانيها الحقيقية، من هنا يمكننا الاستنتاج بأن ذكر النبي ﷺ في الكتاب المقدس ليس كما يعتقد الكتاب المقدس نفسه.

وركز اهتمامه على سيدنا يونس عليه السلام في هذا الباب، وهو يعد أول عاصٍ من الأنبياء في نظره وكان يظن أن الله لا يجده، وركب في السفينة، ولكن ضربت العاصفة السفينة وأصحابها قرروا أن يرموا بعض الأشياء في البحر ففعلوا، ولكن على الرغم من هذا استمرت العاصفة وقد فهموا أنها إشارة من الله بأن بينهم عاصٍ، وأجروا القرعة بينهم وفهموا من القرعة أن يونس هو العاصي، وعلى الرغم من هذا حاولوا أن يخلصوا يونس، ويدعو الله أن لا يقتلهم بسبب هذا الرجل، وهذا يدل على وجود الناس الذين يؤمنون بالله من غير اليهود، وهذا غير موجود عند معتقدات اليهود؛ لأنهم يعتقدون أنه لا أحد يعبد إلهاً واحداً إلا اليهود، ثم ألقى أصحاب السفينة يونس في البحر، وحوط كبير ابتلعه وهو حي^(٣٨). ﴿وَيَاتِي فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ آمَنًا﴾ [يونس، ١: ١٧] ودعا يونس ربه وفي النهاية قذفه إلى البر، وذهب إلى قومه، ولم يكن نادماً مما فعله، بل دخل مدينة نينوى وقال: ﴿بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تُنْقَلِبُ نِينَوَىٰ﴾ [يونس، ٣: ٤]، المفهوم من هذه العبارة أنه كان يريد هلاك أهل هذه المدينة، ولكن هذا لم يحدث، وبالتالي غضب، ويحكي لنا هذا: ﴿فَقَالَ اللَّهُ لِيُونَانَ: أَيَحْقُ لَكَ أَنْ تَغْضَبَ مِنْ أَجْلِ الْيَقْطِينَةِ؟ فَاجَابَ يُونَانُ: يَحْقُ لِي أَنْ أَغْضَبَ إِلَى الْمَوْتِ. فَقَالَ الرَّبُّ: أَشَفَقْتَ أَنْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِيهَا وَلَا رَبِّيَّتَهَا، وَإِنَّمَا طَلَعْتَ فِي لَيْلَةٍ ثُمَّ هَلَكْتَ فِي لَيْلَةٍ، أَفَلَا أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْعَظِيمَةِ الَّتِي فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ وَعِشْرِينَ

ألف نسمة لا يعرفون يمينهم من شمالهم، فضلاً عن بهائم كثيرة} [سفر يونا، ٤: ٩-١١] بناءً على هذه العبارات في الكتاب المقدس يرى باين أن قصة يونس ترفض أجزاء من الكتاب المقدس فتحدث عن الظلم والقتل الذي جرى على يد الأنبياء كلهم؛ لأن الله هو يرحم أكثر الناس في مدينة نينوى^(٣٩).

المبحث الثاني:

موقفه من العهد القديم.

مما تقدم يتضح لنا أن باين يرى أن الوحي ليس من الله وأنه شعوذة أيضاً^(٤٠). وحاولنا تحت هذا المبحث إبراز موقفه من العهد القديم بالأمثال من كتاب عصر العقل، وناقشنا نقده من خلال قواعد النقد خاصة، وقسمنا هذا المبحث إلى مطلبين: المطلب الأول نتطرق إلى نقده الأدبي، وخصصنا المطلب الثاني لنقده التاريخي، والجدير بالذكر أن نقده عبارة عن النقد الأدبي والتاريخي للعهد القديم، ولم نصادف النقد العلمي للعهد القديم خلال دراستنا. قبل أن ندخل في الموضوع نريد أن نذكر بعض خصوصيات نقده، حيث إنه يعتمد على أسفار العهد القديم ويذكر كثيراً من الجمل من العهد القديم. ينتقد كتاب العهد القديم والأنبياء الذين ذكروا في أسفاره، ويرى أنه لا يتميز بين حقيقة شخصيات الأنبياء ومظاهرهم في العهد القديم^(٤١). والذي لم يستخدم خلال نقده مصدراً خارجياً بسبب أن بعض الأشخاص يدعون أن العهد القديم أصلي تماماً، وكل هذا يشير إلى أنه مطلع على العهد القديم، ولكن مع ذلك يمكننا أن نجد أنه يستفيد من كلام ابن عزرا وسبينوزا ويفيد هذا في كتابه، وهو يكشف طريقه في النقد، حيث إنه يرى نفسه مثل الرجل الذي يدخل في الغابة ويقطع أشجارها، ويدعي أن الأشجار لن تغرس من جديد ولن تخصب، والمهم أنه لم يكتف بالكتاب المقدس في نقده، بل هاجم اليهود مباشرة، وبين صفاتهم الرذيلة^(٤٢). وهو يعتقد أن كتابه يفرح أذهان الناس ويخلصهم من رذائل الكتاب المقدس^(٤٣).

المطلب الأول: نقده الأدبي.

النقد الأدبي نقد يهتم بتحديد قيمة النص من جهة الأدب واللغة، والذي يركز على الكلمات والتعبيرات والأساليب الموجودة في النص، علاوة على ذلك يحتوى مجال النقد الأدبي عملية بحث في المصادر المستخدمة للنص لفهم كيف أخذ النص صورة نهائية، والجدير بالذكر يندرج نقد المصادر تحت النقد الأدبي أحياناً، تطور هذا النقد مع قرن عصر التنوير في الغرب، وباختصار إن هذا النقد يحلل النص من جهة الترتيب ومن جهة المضمون ومن جهة الحد والتعريف ومن جهة الأسلوب^(٤٤).

وفي هذه النقطة يقارن باين بين الكتاب المقدس والكتب الكلاسيكية ويصل إلى بعض النتائج، إن كثيراً من المدافعين عن ثقة الكتاب المقدس يدعون أن تأليف الكتاب المقدس أُلّف أحسن من الكتب الكلاسيكية، وهذا دليل على أنه صادق ومنزل من الله، والمهم أن باين يقارن الكتاب المقدس مع كتاب "أساس علم الهندسة" لإقليدس، وهو يفكر أنه لو أننا لا ندري من مؤلف هذا الكتاب لكان لنا مصدراً أساسياً في هذا المجال ونحن نتثق به؛ لأنه يحتوي المعلومات

التي ما زالت حاضرة، ولكن هذا لا يعني أن الكتاب المقدس هكذا؛ لأن بعض ما ذُكر في الكتاب المقدس يرجع إلى شهادة شخصية، وتُفهم الأحداث غير الطبيعية التي ذكرت في الكتاب المقدس بإيمان، والنقطة المطلقة هي شهادة الأشخاص فقط، وتوماس يذكر نقطة مهمة هنا ويقول إذا ما عرفنا بمؤلف كتاب كلاسيكي هذا لا يضرنا، ونحن نقيس قيمته بمحتوياته، ولكن إذا ثبت أن ما في العهد القديم لموسى عليه السلام ما بقي لنا إلا أن موسى عليه السلام هو المزور، ونرى أن باين يحلل محتويات الكتاب على أساس العقل، ونجد نفس المنهج في تحليله في المعجزات، والمقصود من المعجزات مثل شق موسى عليه السلام البحر، وهو لا يؤمن بهذه المعجزات؛ لأنه يلزم أدلة كثيرة من أجل الإيمان بها أكثر من ما يلزم الإيمان بالأشياء العادية^(٤٥).

ومع ذلك هو يقبل أن للكتاب المقدس لغةً وأسلوباً خاصاً، ويحكي موسى عن نفسه هكذا، ولكن في رأيه مضمون الكتاب ينهي الاحتمال أن يكون العهد القديم كتاب موسى عليه السلام، ويضرب المثال في هذه النقطة من العهد القديم: **وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ** {سفر العدد: ٣: ١٢}. وبالنسبة له من المستحيل أن النبي في كتابه يمدح نفسه ويثبت أنه ليس "حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" بل هو متكبر جداً أكثر من جميع الناس، وإذا فموسى ليس كاتباً هذا الكتاب فهو لا يفيد الناس في أي مسألة، ولو عكسه لا أحد يؤمن به لأنه ليس حليماً في الحقيقة، وهو يستمر في كلامه بضرب المثال من العهد القديم، إذ إنه يرى أن الحقيقة انكشفت أن كاتب هذا الكتاب ليس موسى عليه السلام؛ لأن ما دون مؤلف كتاب العهد القديم على أساس معين، وهو يُرى في كل صفحة من الكتاب، هو يكلم موسى متى يشاء ويتكلم عنه على حسب أهوائه، والذي يدعي أن قواعد اللغة في العهد القديم يُبرز للقارئ أنه ليس خالياً من الأخطاء، علاوة على ذلك فقد انتقد محتويات الكتاب؛ لأن العهد القديم مملوء بمناظر التوحش والظلم بالنسبة له، ومن أجل ذلك مستحيل أن يكون هذا الكتاب كتاب الله، فواجب على كل ربوبي أن يشجع عدالة الله وأخلاقه ضد هذه الحكايات في العهد القديم^(٤٦). والذي يرى من المستحيل أن يكون الشخص نبياً وهو يستخدم صيغة الماضي مثل "وتبعهم إلى دان". ومن يدعي أنه النبي هو أحمق فقط^(٤٧).

والجدير بالذكر أنه يرى سفر أيوب وأيوب عليه السلام من جهة مختلفة؛ لأن هذا السفر لا يشتمل الشدة والقتل، بل هو يحتوي تفكير الإنسان وتدبره ومصير الإنسان والصبر، وهو يذكر احترامه لهذا السفر، ويعتقد أن هذا السفر ليس جزءاً من هذا الكتاب أصلاً، وتعتمد قناعته على كلام شارحين يهوديين هما ابن عزرا وسبينوزا، فكلاهما يعتقدان أن هذا السفر مختلف عن الأسفار الأخرى من جهة الأسلوب في تدوين الحوادث، وطرز الحكاية، وأصل لغته ليس العبرانية، بل أُلِّفَ بلغة أخرى وانتقل إلى العبرانية، علاوة على ذلك هذا الكتاب يحكي عن فلسفة الطبيعة والكلمات التي تتعلق بها يونانية، ومن المعروف أن اليهود لا يعرفون شيئاً من علم الفلك، وهذا يدل على أنه مختلف عن الأسفار العبرانية تماماً، ولا توجد علاقة في المضمون بين سفر أيوب وأسفار أخرى في الكتاب المقدس^(٤٨).

ونرى أنه ينتقد مدوني هذا الكتاب من جهة مهمة، حيث إنهم جمعوا هذا الكتاب بتخليط الأسفار بعضها ببعض، وهذا وحده يستطيع أن يكون دليلاً على أنه ليس كتاب الله، ولا يوجد له أصل، علاوة على ذلك فهو يرى أن هؤلاء المدونين ما كتبوا بأنفسهم هذه الأسفار، بل جمعوا مضمون هذه الأسفار من المتون القديمة من الأقوام المختلفة أو متون كُتِبَ مجهولين،

ومع ذلك زينوا في كل بداية الصفحات من الأسفار باسم الكنيسة وعيسى عليه السلام، لينجذب القارئ إلى هذين الاسمين^(٤٩). ويستمر نقده في سفر المزامير، ويذكر أنه عبارة عن ثلاثة أقسام هي: القسم الأول الذي يتحدث عن الأخلاق، والقسم الثاني يحتوي عناصر حاقدة، ويتناول في القسم الثالث المعلومات فيما يتعلق باليهود، ولا يهتم به إلا اليهود أصلاً، وليس صحيحاً أن يقال إن هذه المزامير كلها ترجع إلى داود عليه السلام؛ لأن هذه المزامير ليست كلامَ داود بل تجمعت من عدة مؤلفات ودُونت، حيث بعض المزامير تحكي لنا السبي البابلي، وهذا يصادف بعد أربعمئة سنة من وفاة داود عليه السلام، وهو ينتقد الناس الذين يؤمنون بهذا الكتاب دون نقد المتن، وعدم اهتمامهم بالزمان والمكان في هذه المزامير^(٥٠).
وإنه يعتقد أن هذا الكتاب مملوء بالكذب والسوء والكفر بالدين، وأقبح الفعل هو عطف الأفعال السيئة للإنسان على الله^(٥١). ويذكر عقيدة شعب الله المختار عند اليهود، ولكن هذا بالنسبة لباين لا يعد من الحقيقة؛ لأن أنبياء شعب الله المختار كذابون ومزورون، ولذلك ليس من الممكن أن الله اختار هذا الشعب وصدق ما فعل هذا الشعب^(٥٢). وخلص باين في النهاية إلى أن تحديد لغة للعهد القديم مستحيل بسبب تنوع اللغات في الأسفار^(٥٣).

المطلب الثاني: نقده التاريخي.

من المعروف أن المؤرخ يعتمد على وثائق تاريخية، إذ إن التاريخ لا ينتقل إلا بطريقتين هما: المشاهدة، ودراسة الآثار، وهذه الآثار هي آثار مادية وآثار كتابية، ومن المعروف أن الآثار المادية تندرج تحت اختصاص الأركيولوجي، والآثار الكتابية تدخل في مجال المؤرخ، وهو يتبع المراحل الأساسية خلال دراسته وهي: تدوين الوثائق وتناولها بالنقد والتحصيل^(٥٤).

إن النقد التاريخي ينقسم إلى قسمين هما: النقد الخارجي، والنقد الداخلي، والنقد الخارجي يطلق على "نقد الصحة" أو "نقد التحصيل" ويعتمد على "نقد التصحيح" و"نقد المصدر"، والمقصود بنقد التصحيح تصحيح الأخطاء التي في الوثيقة التاريخية، والمقصود بنقد المصدر بحث المؤرخ في وثيقة فيها شك بصحتها، ويجتهد في تحديد كاتب الوثيقة ووقت تأليفها، علاوة على ذلك من الواجب عليه الأخذ بعين الاعتبار الحوادث التاريخية، وبهذا الطريق نصل إلى الكاتب الأصلي للنص، ونستطيع تحديد زمانه ومكانه، وتحت أي ظروف ألفه^(٥٥).

وأما النقد الداخلي فيسمى بنقد الصدق أيضاً، وهو يشتغل بفحوى الوثيقة، علاوة على ذلك يهتم بإدراك النص، وبحث نسبة النص إلى مؤلفه وصحته، والجدير بالذكر أن النقد الداخلي يحتوي "نقد التفسير" و"نقد الدقة والأمانة"، والمقصود بنقد التفسير جهود فهم المضمون وتحليله، وهذا النقد يحاول أن يحدد معنى الكلمة حرفياً وحقيقياً، وأما نقد الدقة والأمانة فيركز على احتمال أخطاء ووهم صاحب النص^(٥٦). ويمكننا أن نجد النقد التاريخي عند باين بكل أنواعه، ونحاول أن نشير إليه إن شاء الله تعالى.

إنه يركز على الأسفار الخمسة من العهد القديم، ويذكر أن العهد القديم ألف بعد قرون من وفاة موسى عليه السلام^(٥٧).

ويرى أن ليس من الممكن أن يكون كاتب هذا الكتاب هو موسى عليه السلام؛ لعدم وجود أي إشارة عندنا تدل على أن كاتب هذا الكتاب موسى عليه السلام، حيث إن أسلوب الكتاب يشجع على هذه الفكرة فالذي يتكلم شخصاً آخر عن موسى عليه السلام، وتجري العبارات في الكتاب المقدس دائماً هكذا "قال موسى ربه" "قال ربه موسى" ^(٥٨).

ويستدل على رأيه من العهد القديم: **«ودعوا اسم المدينة دان باسم دان أبيهم الذي ولد لإسرائيل، ولكن اسم المدينة أولاً لايش»** [القضاة ١٨: ٢٩، ٣٠]. ومن المعروف أن هذا الجزء وُضع في العهد القديم بعد موت سامسون، بعد ثلاثمئة سنة من وفاة موسى عليه السلام، إذن إن هذه المدينة أخذت هذا الاسم بعد وفاة موسى عليه السلام، وهذا يعني أن هذا الجزء لم يكتب على يد موسى عليه السلام ^(٥٩).

علاوة على ذلك يدقق احتمال أن يكون يشوع هو كاتب سفر يشوع في العهد القديم ويرى أنه مستحيل، وهو يستدل على أفكاره بآيات من العهد القديم، حيث تم تأليف هذا السفر بعد زمن طويل من وفاته، وفضلاً عن ذلك فإن هذا السفر يحتوي كثيراً من الحوادث التي ظهرت بعد وفاته، وأيضاً هذا السفر مملوء بالمظاهر السيئة ليشوع، وهو يضرب مثلاً آخر ليثبت صحة أفكاره من الكتاب المقدس حيث: **«وعبد بنو إسرائيل الرب كل أيام يشوع، وكل أيام الشيوخ الذين امتدت حياتهم إلى ما بعد يشوع والذين عرفوا كل ما صنع الرب لإسرائيل»** [سفر يشوع ٢٤: ٣١]، بعد ذكر هذا يسأل هل من الممكن أن يعرف الشخص شيئاً بعد وفاته؟ إذن هذا يدل على أن يشوع ليس كاتب هذا السفر.

وينتقد باين وجود تاريخ اليهود الخاص في الكتاب المقدس؛ لأن هذه الحوادث الخاصة مهمة عند اليهود فقط، فلماذا الأقوام المختلفة ذكرت فيها، وعلى الرغم من ذكر الحوادث التاريخية في الكتاب المقدس فقد وُجدت عدة أخطاء بارزة فيها، وسفر يشوع يحتوي كثيراً من الأمثلة في هذا الصدد، إذ إن كاتب هذا السفر يسجل أسماء العائلات ويذكر عدد كل عائلة، ولكن في النهاية يصل إلى نتيجة خاطئة للمجموع. [سفر عزرا ٢: ٣-٦٤] ومن أجل ذلك يسرد باين أن الكتاب المقدس لا يستطيع أن يكون مصدرًا موثوقًا في أي مسألة ^(٦٠). كل ما سبق يشير لنا أن نقده مطابق لمنهج النقد التاريخي.

خاتمة.

وفيها أهم نتائج البحث، والتوصيات:

توصل الباحثان من خلال ما سبق إلى **النتائج الآتية:**

- ١- اتبع باين عزرا وسينوزا في نقده العهد القديم، واستفاد منهما في اختيار المسائل والمناهج، حيث اهتم بالنقد الأدبي والتاريخي كما فعل سينوزا.
 - ٢- أكد هذا البحث أن من أكبر الأخطاء في منهج باين تعميم الكتب السماوية مثل القرآن الكريم.
 - ٣- يعتمد نقده إمكان الوحي والنبوة على معتقداته، خلافاً للدليل أو المرجع العلمي أحياناً.
- وتوصى هذه الدراسة بالاهتمام بنقد الربوبيين للكتاب المقدس والقرآن الكريم؛ لإظهار منهجهم في تقديم للكتب المنزلة.

الهوامش.

- (١) أريج إبراهيم عبد الرحمن الحوامدة، حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها، عمان، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلامية والعالمية، ٢٠١٧م، ص ٣٣.
- (٢) حافا لازاروس يافيه، الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط، ترجمة: محمد طه عبد الحميد، القاهرة، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٥-١٦.
- (٣) الحوامدة، حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها، ص ٣٨، ٤١، ٤٤.
- (٤) جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات في العصور الوسطى، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م، ص ٢٤٢.
- (5) Yasin Meral, Spinoza'nın Teolojik-Politik İncelemesi'nde Tanah Eleştirisi, **Mukaddime Dergisi**, İstanbul, 6(1), 2015, s.27-28.
- (6) Yasin Meral, Tevrat Tenkit Geleneğinin Öncüsü: İbn Hazm mı Spinoza mı? **Diyanet İlmî Dergi**, Ankara, 50/4, 2014, s.78-80.
- (٧) الحوامدة، حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا، من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها، ص ٩٨، ١٠٤.
- (٨) عز الدين اغليلو، النقد الكتابي الأبدي بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل، ص ٢٧. شرف حامد سالم، نقد العهد القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٢١٤.
- (٩) يوسف كلام، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التفتيش والتقديس دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٩م، ص ٥٠.
- (١٠) المصدر السابق، ص ٥٠-٥٥.
- (١١) المصدر السابق، ص ٢٢٠.
- (١٢) الحوامدة، حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها، ص ١٢٠.
- موريس. ب.، التورة والإنجيل والقرآن العلم. ترجمة: حسن خالد، المكتب الإسلامي، ١٩٩٠، بيروت، ص ٤٤.
- (13) Thomas Paine, **Akıl Çağı**, çev: Ali İhsan Dalgıç, Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları, İstanbul, 1. Baskı, 2014, s. 70.
- (14) Cherbury, Lord Herbert. **De Veritate**, University of Bristol, J.W. Arrowsmith, 1937, p. 81.
- (١٥) المصدر السابق، ص ٥.
- (16) Adnan Bülent Baloğlu, **Lord Herbert'in İdeal Dini, Spinoza'nın Evrensel Dini, Neoliberalizmin Küresel Dini**, Deizm Sayısı Doğu Batı Yayınları, Ankara, 2020, s.19., Meryem Kardaş, **Deizmin İncilinde Tanrı ve Din Tasavvuru**, Din Karşıtı Çağdaş Akımlar ve Deizm, Ensar Neşriyat, Van, 2017, s. 22.
- (17) Paine, **Akıl Çağı**, s.29.
- (18) Hudson, Wayne. **The English Deists Studies In Early Enlightenment**. Pickering&Chatto, London, 2009., Johson, Bob. **Deism A Revolution in Religion, A Revolution in You**, World Union of Deists, California, 2009.
- (١٩) المصدر السابق، ص ٥-٦.
- (٢٠) المصدر السابق، ص ٧-٨.

- (21) المصدر السابق، ص ١٦٤-١٦٥.
- (22) Fatma Yüce, **Deizmden Teizme Tanrı-Din-İnsan**, Elis Yayınları, Ankara 2021, s. 157.
- (23) Paine, **Akıl Çağı**, 168-169.
- (24) المصدر السابق، ص ١٣٢-١٣٣.
- (25) Yüce, **Deizmden Teizme, Tanrı- Din-İnsan**, s. 264-265, 268.
- (26) Paine, **Akıl Çağı**, s.27.
- (27) المصدر السابق، ص ٤.
- (28) عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٧، ص ٣٣-٣٤.
- (29) مأمون غريب، أصحاب الرسول ﷺ من الأعاجم، دار الهدى للكتاب، القاهرة، ص ١٦.
- (30) محمد بن فارس جميل، الهجرة إلى الحبشة-دراسة مقارنة للروايات-، دار الفیصل الثقافی، الرياض، ٢٠٠٤، ص ٢٧-٢٨.
- (31) عبد الوهاب عبد السلام الطويلة، محمد أمين شاکر حلواني، عالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء، دار القلم، دمشق، ص ٨٧.
- (32) Paine, **Akıl Çağı**, s. 28-29.
- (33) Yüce, **Deizmden Teizme Tanrı-Din-İnsan**, s. 175
- (34) Paine, **Akıl Çağı**, s.122-123.
- (35) المصدر السابق، ص ١٢٣-١٢٤.
- (36) المصدر السابق، ص ٨٠-٨١.
- (37) ربيع، يحيى محمد علي. الكتاب المقدس بين الصحة والتحريف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. المنصورة، ١٩٩٤، ص ٧٠، ٧٣، ١٤٩.
- (38) Paine, **Akıl Çağı**, s.130.
- (39) المصدر السابق، ص ١٣٢.
- (40) المصدر السابق، ص ٥٧.
- (41) المصدر السابق، ص ١١٠.
- (42) المصدر السابق، ص ١٠٨.
- (43) المصدر السابق، ص ٩٥.
- (44) سالم، نقد العهد القديم، ص ٢١٣-٢١٦.
- (45) Paine, **Akıl Çağı**, s. 73-74.
- (46) المصدر السابق، ص ٧٧-٧٨.
- (47) المصدر السابق، ص ٨٦.
- (48) المصدر السابق، ص ١٠٦، ١٠٨.
- (49) المصدر السابق، ص ١١٢-١١٣.
- (50) المصدر السابق، ص ١٠٩-١١٠.

- (٥١) المصدر السابق، ص ٨٦.
(٥٢) المصدر السابق، ص ٩٧.
(٥٣) المصدر السابق، ص ١٢٩.
(٥٤) الكلام، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقدّيس، ص ٥٠-٥١.
(55) Paine, Akil Çağı, s. 52-54.

- (٥٦) المصدر السابق، ص ٥٩.
(٥٧) المصدر السابق، ص ٧٥.
(٥٨) المصدر السابق، ص ٧٦.
(٥٩) المصدر السابق، ص ٨٢.
(٦٠) المصدر السابق، ص ١٠٥-١٠٦.

المراجع.

أولاً: المراجع العربية:

- اعليلو، عز الدين. النقد الكتابي الأدبي بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم. مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل.
- ب، موريس. التورة والإنجيل والقرآن العلم. ترجمة: حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.
- جميل، محمد بن فارس. الهجرة إلى الحبشة-دراسة مقارنة للروايات-. دار الفيصل الثقافي، الرياض، ٢٠٠٤م.
- الحوامدة، أريج إبراهيم عبد الرحمن. حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها. عمان، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلامية والعالمية، ٢٠١٧م.
- ربيع، يحيى محمد علي. الكتاب المقدس بين الصحة والتحرّيف. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٩٤م.
- سالم، شرف حامد. نقد العهد القديم. مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٠م.
- شاهين، عبد الصبور. تاريخ القرآن. نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- غريب، مأمون. أصحاب الرسول ﷺ من الأعاجم. دار الهدى للكتاب، القاهرة.
- الطويلة، عبد الوهاب عبد السلام. محمد أمين شاكر حلواني، عالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء، دار القلم، دمشق.
- كلام، يوسف. تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التفتيش والتقدّيس دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي. دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٩م.
- يافيه، حافا لازاروس. الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط. ترجمة: محمد طه عبد الحميد، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- يوسف، جوزيف نسيم. نشأة الجامعات في العصور الوسطى. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Baloğlu, Adnan Bülent. **Lord Herbert'in İdeal Dini, Spinoza'nın Evrensel Dini, Neoliberalizmin Küresel Dini**. Deizm Sayısı Doğu Batı Yayınları, Ankara, 2020.
- Cherbury, Lord Herbert. **De Veritate**, University of Bristol, J.W. Arrowsmith, 1937.
- Hudson, Wayne. **The English Deists Studies In Early Enlightenment**. Pickering&Chatto, London, 2009.
- Johson, Bob. **Deism A Revolution in Religion, A Revolution in You**. World Union of Deists, California, 2009.
- Kardaş, Meryem. **Deizmin İncilinde Tanrı ve Din Tasavvuru**. Din Karşıtı Çağdaş Akımlar ve Deizm, Ensar Neşriyat, Van, 2017.
- Meral, Yasin. Spinoza'nın Teolojik-Politik İncelemesi'nde Tanah Eleştirisi. **Mukaddime Dergisi**, İstanbul, 6(1), 2015, s.27-28
- Meral, Yasin. Tevrat Tenkit Geleneğinin Öncüsü: İbn Hazm mı Spinoza mı?. **Diyanet İlmi Dergi**, Ankara, 50/4, 2014, s.78-80.
- Paine, Thomas. **Akl Çağı**. çev: Ali İhsan Dalgıç, Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları, İstanbul, 1. Baskı, 2014.
- Yüce, Fatma. **Deizmden Teizme Tanrı-Din-İnsan**. Elis Yayınları, Ankara 2021.

Rwmnh al-marāji:

- A'lylw 'Izz al-Dīn, al-Naqd al-kitābī al-Adabī Bayna al-Kitāb al-Muqaddas wa-al-Qur'ān al-Karīm, Mu'assasat muqārabāt lil-Nashr wa al-Şinā'āt al-Thaqāfiyah wa Iştirātijyāt al-tawāşul.
- B. Mwrs, Altwrh wa-al-Injīl wa-al-Qur'ān al-'İlm. tarjamat: Ḥasan Khālid, al-Maktab al-Islāmī, Bayrūt, 1990M.
- Jamīl, Muḥammad ibn Fāris. al-Hijrah ilā alḥsht-drāsh muqāranah llrwāyāt-. Dār al-Fayşal al-Thaqāfi, al-Riyāḍ, 2004M.
- Al-Ḥawāmidah, Arj Ibrāhīm 'Abd al-Raḥmān. Ḥarakat Naqd al-Kitāb al-Muqaddas fi Ūrubbā min 'aşr al-Nahḍah ilā al-'aşr al-ḥadīth wa Mawqif al-Kanīсах minḥā. Risālat mājjistir, Jāmi'at al-'Ulūm al-Islāmīyah wa al-'Ālamīyah, 'Ammān, 2017M.
- Sālim, Sharaf Ḥāmid. Naqd al-'ahd al-qadīm. Maktabat Madbūlī, al-Qāhirah, 2010M.
- Shāhīn, 'Abd al-Şabūr. Tārīkh al-Qur'ān. Nahḍat Mişr, al-Qāhirah, 2007M.
- Gharīb, Ma'mūn. aşḥāb al-Rasūl-şlā Allāh 'alayhi wslm-min al'ājm. Dār al-Hudā lil-Kitāb, al-Qāhirah.
- Al-Ṭawīlah, 'Abd al-Waḥḥāb 'Abd al-Salām. Muḥammad Amīn Shākir Ḥalawānī, 'ālamīyah al-Islām wa-rasā'il al-Nabī ilā al-mulūk wa-al-umarā', Dār al-Qalam, Dimashq.
- Kalām, Yūsuf. Tārīkh wa-'aqā'id al-Kitāb al-Muqaddas bayna Ishkālīyat al-taftīsh wa al-taqdīs dirāsah fi al-tārīkh al-naqdī lil-Kitāb al-Muqaddas fi al-Gharb al-Masīhī. Dār Şafaḥāt lil-Dirāsāt wa al-Nashr, Dimashq,

2009M.

- Yāfih, ḥāfā lāzārws. al-Islām wa-naqd al-‘ahd al-qadīm fī al-‘aṣr al-Wasīṭ. tarjamat: Muḥammad Ṭāhā ‘Abd al-Ḥamīd, al-Qāhirah, Markaz al-Dirāsāt al-Sharqīyah Jāmi‘at al-Qāhirah, al-Qāhirah, 2007M.
- Yūsuf, Jūzīf Nasīm. Nash’at al-jāmi‘āt fī al-‘uṣūr al-Wuṣṭá. Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah, Bayrūt, 1981M.